مكانة الوقف بين العبادات الإسلامية

س: في الحلقة السابقة أشرتم إشارة عابرة، عند ذكر شروط الوقف إلى أن الوقف عبادة، ومن ثم فلا يجوز الوقف على جهة معصية، وفى هذه الحلقة نحب أن نقف على مكانة الوقف بين العبادات الإسلامية، فما هي المكانة التي يُوضع فيها الوقف بين العبادات؟

جـ: بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله الكريم.. فالوقف كما قلنا عبادة من العبادات، وقربة من القرب التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وأحب القرب إلى الله تعالى ـ كما نعلم ـ بعد الذي فرضه الله تعالى على عباده، هو ما كان من جنس هذا الذي فرض علينا، وأحب هذه العبادات هو ما اتصف بالاستمرارية والديمومة، قال ﷺ: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**» بمعنى أن الذي يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بصلاة أو صيام أو صدقة فليجعل تقربه إلى ربه دائماً مستمراً، وإن كان قليلاً من حيث الكمية، فمن يصلى ركعتين في جوف الليل بصفة مستمرة، خير ممن يصلى مائة ركعة في ليلة ثم ينقطع عن قيام الليل، وكذلك من يريد التقرب إلى الله تعالى بقربة من جنس الزكاة التي فرضها الله تعالى على عباده، فخير له أن يقدم صدقة مستمرة وإن كانت قليلة، فثوابها سيكون أكثر مما لو تصدق بصدقة كبيرة من حيث الكمية، لكنها منْقطعة من حيث الدوام والاستمرار. وفي هذه المنطقة يقف الوقف يمثل صدقة دائمة مستمرة، وقربة يتجدد ثوابها بمرور الأيام وتوالى الزمان، فهو ينطبق عليه، أنه من أحب الأعمال إلى الله تعالى كما جاء في الحديث الذي أوردناه. «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**»، فالوقف من أدوم الصدقات. وغالباً ما يكون غير قليل، فهو كبير من حيث الحجم، كبير من حيث الثواب الدائم الذي يعود

على الواقف طالما أن وقفه يؤتي ثماره، ويدر عوائده على من أوقف عليهم. وعليه فإن مكانته بين العبادات الإسلامية مكانة عالية.

س: اعتقد أن هناك حديثاً نبوياً مشهوراً عن الصدقة الجارية وثوابها الذي يعود على القائم بها بعد وفاته.

جـ: نعم، ما تقوله صحيح، فهناك كثير من الأحاديث النبوية تحث على الصدقات المستمرة، وتضرب بها الأمثلة ومنها الحديث المشهور الذي يقول: **«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»** وهناك الحديث المشهور أيضاً والذي نصه: **«إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»** فنحن نعلم أن الإنسان إذا مات طويت صحيفته، وانتهت أعماله بخيرها وشرها، ولكن هناك أعمال عملها المؤمن لم تنته آثارها بعد، ولازالت تعطى ثمارها وتعود بالنفع على الآخرين، هذه الأعمال تستمر تكتب لصاحبها في صحيفته، وهى للأسف تشمل الأعمال الصالحة والأعمال غير الصالحة، بيد أن حديثنا الآن عن الأعمال الطيبة التي تليق بالمؤمن أن يكون قد قام بها في حياته، راجياً ثواب ربه المستمر عنها. والوقف يدخل في العديد من الأعمال التي نوه عنها الحديث الشريف فهو من الصدقة الجارية، ويدخل فيها من أوسع الأبواب. وأيضاً بناء المسجد وحفر النهر وتوريث المصحف كل هذه الأعمال في الغالب تأخذ شكل الوقف، ونستطيع أن نقول بإجمال وتبسيط: إن كل تصرف أو سلوك تبقى آثاره الطيبة بعد وفاه الشخص الذي قام به، سيكتب له ثوابه بعد وفاته، وأثناء حياته أيضاً، أي

منذ اللحظة التي قدم فيها هذا التصرف أو هذا السلوك تبدأ الكتابة في سجلاته، والحديث الصحيح يقول: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

من كل ما سبق تتضح لنا مكانة الوقف بين العبادات الإسلامية، فهو قربة من أفضل القرب وعبادة من أفضل العبادات، وعلى الذين يرجون ثواب الله تعالى، ويطمعون في رضوانه ومغفرته أن يتخذوه، طريقاً إلى ذلك، لأنه يمثل سلوكاً رشيداً يقوم به المسلم، ذلك أن الرشد في الإنفاق إنما يتمثل في اختيار الميدان الإنفاقي الذي تكون عائداته أكبر ما يمكن، بمعنى أن العاقل عندما ينفق ماله، ينفقه في الجهة التي تعود عليه بأكبر نفع، وليس هناك إنفاق يعود ثوابه على المنفق في حياته وبعد مماته أفضل من الوقف.

س: هل نعتبر ذلك دعوة منكم ليمارس الناس الوقف كما مورس من قبل؟

جـ: نعم. إن كل مخلص للأمة يدرك أنها لن تنهض إلا بالطرق والوسائل التي نهضت بها من قبل، ونحن نعلم أن التعليم والصحة وشتى المرافق ورعاية الأيتام وأبناء السبيل وغيرها من المواطن قد مولت ـ في ظل الحضارة الإسلامية ـ من الوقف. واليوم نحن في أمس الحاجة إلى جهود الوقف في نفس هذه المجالات، في التعليم والصحة والمرافق ورعاية الأطفال المشردين والأيتام وأبناء السبيل، فعلى الناس أن يشمروا عن ساعد الجد، ويبذلوا في سبيل نهضة أمتهم. والوقف بأنواعه المختلفة، قادر على أن يرفد نهضة الأمة، ويدفعها قُدماً. هذا والله الموفق